الهجرات الهلالية وتأثيراتها على بلاد المغرب الأدنى (ليبيا وتونس) في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي

أ. هنية صالح خليفة الككلي ـ قسم التاريخ ـ كلية التربية الزهراء جامعة الجفارة

مُقدّمة :

تعتبر الهجرات من أكثر العوامل تأثيراً في حركة التاريخ في العصور المختلفة ، بل إننا نكاد لا نبالغ إذا قلنا إن الهجرات هي التي كتبت معظم أحداث التاريخ ، فتاريخ أوروبا في العصور القديمة والوسطى سجَّلت معظم أحداثه هجرات البرابرة مثل القوط والهون والجرمان وغيرهم ،وتاريخ آسيا سجله التتار والترك وغيرهما، ويذهب (أرنولد توينبي) إلى أن الهجرات ركيزة أساسية في قيام الحضارة، إ ذ أنها تتيح تراكم الخبرات والتجارب وتلاقحها، وقد خرجت هجرات من جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده ، وشهدت بلاد المغرب الإسلامي هجرات كثيرة باتجاهها قادمة من مواطن متعددة بعد ظهور الإسلام ، وتُعد هجرة بني هلال من أشهر الهجرات العربية إلى بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي، وقد لعبت الظروف السياسية والاقتصادية دورا مهما أدت بهؤلاء للتوجه نحو بلاد المغرب، وكان للعرب الأثر البالغ في شتى مناحي الحياة الإفريقية، سواء السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية أم الثقافية، حتَّى نستطيع أن نقول إن وجه الحياة قد تغير بصورة كبيرة في بلاد المغرب بعد الهجرة الهلالية إليه في كافة المجالات السياسية والحضارية .

ومن منطلق هذه الأهمية جاء اختياري لعنوان بحثي: (الهجرات الهلالية وتأثيراتها على بلاد المغرب الأدنى – ليبيا وتونس في القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي؛ ليوضّح أهمية الهجرة في توضيح العلاقة بين العرب وإفريقية ولدراسة الآثار التي ترتبت عليها .

ويهدف البحث إلى إبراز دور العرب في نشر الثقافة العربية (اللغة والدّين) وتوضيح أن دور العرب الهلاليين في تاريخ المنطقة لم يكن باستمرار دورا سلبيا، وأنهم أصبحوا جزء اً من النسيج الاجتماعي يؤثرون فيه ويتأثرون به .

وقد قُسّم البحث الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تضمنت الفقرة الأولى من المقدمة مفهوم الهجرة والفقرة الثانية كانت بعنوان : مدلول لفظ إفريقية (المغرب الأدنى)

جغرافيا، وتناول المبحث الأول لمحة تاريخية عن الهجرات الهلالية، والمبحث الثاني علاقة الهلاليين بالدولة الزيريـــــة، واشتمل المبحث الثالث على التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على بلاد المغرب الأدنى، والخاتمة وتضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المفاهيم المفتاحية للبحث Key concepts of research :

أولا- مفهـــــوم الهجرة The concept of immigration :

تُعد الهجرة أحد العوامل المؤثرة في حركة السكان، ويعبر عنها بالحركة الآلية ضمن مفهوم الزمن، فالهجرة هي حركة السكان (الأفراد والجماعات) من مكان لآخر سواء ضمن الإقليم نفسه أم خارجه، لفترة قصيرة أو طويلة مؤقتة أو دائمة .

وتقسم الهجرة إلى أنماط أو أنواع مختلفة، وذلك حسب أسبابها ومدتها واتجاهاتها وتاريخها وشكلها .

ويمكن تصنيفها على النحو التالي :

- الهجرة حسب تاريخها: الهجرة القديمة والهجرة الحديثة.
- الهجرة حسب ديمومتها واستمراريتها: الهجرة الدائمة والهجرة المؤقتة .
- الهجرة حسب الرغبة :هجرة إرادية وهجرة قسرية أو (تهجير). [1]

وتعتبر الهجرات الهلالية من الهجرات الدائمة، وتهدف هذه الهجرات إلى الاستقرار، حيث يترك المهاجر موطنه الأصلي نهائيا ويستقر في الوطن الجديد، وقد تكونت هذه الهجرة الدائمة فردية أم جماعية، وقد تكون بمقتضى اتفاقيات دولية . [2]

ثانيا- المغرب الأدنى جغرافياً Morocco is the lowest geographically :

كان يسمّى **تاريخياً (إفريقية)** وكان يشمل القيروان وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائـــر والبلاد الطرابلسية وبرقة أحيانا، وكانت عاصمته المهدية في عصر العبيديين، وكان العرب يسمّون الجزائر الآن بالمغرب الأوسط ، والبلاد التي تحتوي على مراكش الآن بالمغرب الأقصى .[3]

وتُعد الهجرة الهلالية أو التغريبة الهلالية كما يقال أحيانا من أهـــم الأحداث التي كان المغرب الإسلامي مسرحا لها، وكان ذلك في حوالى منتصف القرن الخامس الهجري ،الحادي عشر الميلادي ، فمن الهلاليون؟ ومن أي المناطق هاجروا أو هجـّـروا ؟ سنحاول في هذا البحث الإجابة عن هذين السؤالين ، مع التركيز بشكل خاص على مسيرتها في إفريقية أو المغرب الأدنى (ليبيا وتونس)موضوع البحث

المبحث الأول ــ لمحة تاريخية عن الهجرات الهلالية:

أولا ـ نســـــب الهلاليين وموطنـهم قبل الهجـــرة :

قبل الإشارة إلى بطون قبيلة بني هلال وجبت الإشارة إلى التقسيمات التي قام بها النّسابـــون والمؤرخـــون العرب، حيث قسموا الأنساب إلى طبقات وفروع أولها الشعب ،ثم القبيلة وهي قسمة من الشعبة، وبعدها العمارة وهي جزء من القبيلة، ثم البطن وهي فرع من العمارة، وبعده الفخذ الذي يتفرع من البطن وصولا إلى الفصيلة وهي فرع من الفخذ والعشيرة . [4]

ينحدر بنو هـــــلال بن عامر بن صعصعة وأبناء عمومتهم بنو سليم بن منصور من قيس عيلان بن مضـــــر وهؤلاء يدخلون فيمن يسميهم ابن خلدون بعرب الجيل الرابع أو العرب المستعجمة . [5]

وقد ذكـــــر ابن خلدون شيئا عن أخبار بني هلال وبني سليم قبل بداية هجرتهم إلى بلاد المغرب فقال :" كانت بطون هلال وسليم في مضر لم يزالوا بادين منذ الدولة العباسية وكانوا أحياء ناجعة بمجالاتهم من فقر الحجاز بنجد فبنـــو سليم مما يلي المدينة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف، وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشام ، فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق، وربما أغار بنو سليم على الحاج أيام الموسم بمكة وأيام الزيارة بالمدينة " .[6]

وعندما قامت حركة القرامطة [7] انضم إليها بنو سليم وبنو هلال، ودخلوا بجيوشهم في عمان والبحرين واشتركوا في الحرب ضد الفاطميين في الشام ومصر والحجاز. وفي الوقت الذي تغلب المعز لدين الله الفاطمي على القرامطة وأرغمهم على التراجع للبحرين انفصل بنو هلال وبنو سليم عنهم ومالوا إلى الفاطميين فلما ولي ابنه العزيز بالله الخلافة سنة (365هـ) نقلهم إلى صعيد مصر، وأسكنهم الضفة الشرقية من النيل واشترط عليهم ألا يعبروا إلى الضفة الغربية وكان هدفه من ذلك الحيلولة بينهم وبين الانضمام إلى أعداء الفاطميين في المغرب، فأقام من انتقل من بني هلال وبني سليم في الصعيد الأعلى وآذوا الفلاحين إيذاءً شديدا فاندمج بنو سليم مع سكان الصعيد، أما بنو هلال فقد ظلوا بدواً.[8]

ولقد اجتهد ابن خلدون في التعريف بزعماء الهلالية آنذاك وصنفهم حسب الشـــرف وتبعا لأصالة العروق وكانت أهم جماعات هلال بن عامر في صعيد مصر وقتئذ هي " جشم والأثبج وزغبة ورياح وربيعة وعدى [9]

أما القبائل العربية التي توافدت على المغرب فهي أخلاط من القبائل ولا يمكن الإتيان عليها كلها أو حصر توزيعها الجغرافي في هذا الصقع المتباعد الأطراف في هذا العمل المتواضع . ويُعد بنو هلال أهم الشعوب العربية الداخلة إلى بلاد المغرب ، فقد كانوا من كثرة العدد وتعدد البطون بحيث غطى اسمهم على الشعبين الآخرين بني سليم والمعقل، ويشتمل هذا الشعب عددا كبيرا من القبائل، بعضها ينتمي إليه حقيقة بالنسب، وبعضها نسبه في غيره، ولكنه محسوب منه ومضاف إليه، ومنها قبائل تناسلت ونمت فصارت لها البطون والأفخاذ الكثيرة فارتقت من رتبة القبائل إلى رتبة الشعوب .[10]

ويجعل الدكتور حسين مؤنس سبب شهرة اسـم بني هلال؛ لأنهم كانوا أوغـل في البداوة وأعنف من بني سليم في معاملة الناس وإنزال الضرر بهم [11] ، وهذا الرأي هو الذي تتبناه الباحثة ولا تذهب الباحثة الى ما ذهب اليه الدكتور عبد الحميد يونس الذي يـرى أن السبب في ما كان لهم في ذلك الوقت من نصيب أوفـر في الزعامة إلى جانب سهولة هذه التسمية في النطـق بها .[12]

وباختصار فقد استمر مكوث الهلاليين في مصر حتى عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله(427-487هـ/1035-1094م) الذي خسرت فيه مصر سيطرتها على المغرب الأدنى حيث كان يحكمه بنو زيري باسم الخليفة الفاطمي .

ثانيا- دوافـع الهجـرات الهلاليـة:

لا تتم الهجرة عادة إلا بوجود دوافع وأسباب خلفها سواء كانت مباشرة وظاهرة، أم غير مباشرة، فانتقال الناس أفرادا كانوا أم جماعات من موطنهم إلى مكان آخر لا يتأتى بين ليلة وضحاها، فلا بد أن يسبقه تنسيق وانتقاء للمكان المستهدف، وإذ نتناول بالبحث موضوع الهجرات الهلالية تحاول الباحثة الوقوف وراء الدوافع الكامنة وراء هذه الهجرات .

1 ـ الأسباب السياسـية : إن هجرات العرب الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي له علاقة مباشرة بالفاطميين بمصر، كيف ذلك؟

بعد انتقال الفاطميين إلى مصر بقيت قبيلة صنهاجة تحكم المغرب باسم الفاطميين تحت سلطان الدولة الزيرية، ولكن هذه الدولة انقسمت إلى دولة بني زيري في إفريقية ودولة بني حمّاد في المغرب الأوسط، وقد بدأت بوادر العداء السياسي بين الفاطميين في مصر وولاتهم في إفريقية والمغرب إلا أن هذا الصـراع كان في المهد وأخذ ينمو سنة بعد أخـرى ويتذبذب بين الخلفاء الفاطميين من ناحية والأمراء الزيرين من ناحية أخرى[13] إلى أن وصل ذروته في عهد المعز بن باديس (406-454هـ/1016-

1062) فقد كان أميرا قويا، اتجه منذ أن بلغ سن الرشد إلى تولي الحكم بنفسه ، ولم يخف نزوعه إلى الاستقلال عن الفاطميين وإلغاء المذهب الشيعي نهائيا في بلاد المغرب، وخطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسي أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله (422-467هـــ /1030-1079م)،.وقد ثم له ذلك بعد تطورات كثيرة في سنة (440هـ - 1048م).[14]

ويبدو أن هدف المعز من ذلك يكمن في رغبته في استقلاله بملك أجداده، ويتضح ذلك من رده على الخليفة المستنصر الذي كتب إليه يرغبه ويرهبه، ويقول له :"هلاّ اقتفيت آثار من سلفك من أبائك في الطاعة والولاء" ، ويتوعده بإرسال الجيوش فكتب المعز إليه:" إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم ولو أخروهم لتقدموا بأسيافهم [15] ، هذا أولا والعودة الى مذهب السنة ثانياً، يقول ابن خلدون في ذلك ما نصه " : وكانت أذن المعز بن باديس صاغية إلى أهل السنة , وربما كانت شواهدها تظهر عليه [16]

كان له رغبة في مذهب أهل السنة خالف فيه أسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة [17]

فيبدو أن الهدف بالنسبة للفاطميين واضـــح وهو استعادة الملك الشاسع في إفريقية حيث تركوا الصنهاجيين خلفاء لهم عليها ، ومن ثم الاحتفاظ بتدفـــق الموارد المالية من إفريقية والانتقام من المعز وإعادة الاعتبار إلى الشيعة الرافضة من جهة ، والتخلص من مشاكل القبائل الهلالية في مصر من جهة أخرى، فالذي كان يعنيهم خصوصا لم يكن العقيدة أو الشريعة بقدر ما كان توطيد الحكم . [18]

يتفق المؤرخـــون [19] على أن العامل المباشر الذي أدّى أن تختار القبائل العربية نهر النيل غربا إلى إفريقية ،هو سخط الدولة الفاطمية على المعز بن باديس حين قطع الدعوة للفاطميين بعد أن كان تابعا لهم وتحوّل للعباسيين .

ويختلف ابن الأثير عن البقية باعتبار فكرة المعاقبة تلك لم تخطر ببال الخليفة ، بل كانت نتيجة للإهانة التي قدّمها المعز للوزيـــر اليازوري والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا .

2 ـ الأســـباب الاقتصاديـــــة : مما لاشك فيه أن للعوامل الاقتصادية دور كبير في التأثير على مختلف جوانب الحياة للمجتمعات، وما يهمنا في هذا المقام معرفة بعض جوانب الحالة الاقتصادية التي كانت تمر بها الخلافة الفاطمية زمن الخليفة المستنصر

وبالتالي انعكاسات ذلك على القبائل الهلالية في صعيد مصر، وإلى أي مدى يمكن أن تكون هذه الأوضاع قد أسهمت في قرار تهجير هذه القبائل إلى إفريقية.

يقول ابن الأثير في تاريخه لوقائع سنة 440هـ:" وفيها كان الغلاء والوباء عامّا في البلاد جميعا بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها.[20]

ويتحدث صاحب النجوم الزاهرة عن غلاء حدث في زمن الخليفة المستنصر فيقول :" وحدث في أيام المستنصر بمصر الغلاء الذي ما عُهد بمثله منذ زمان يوسف عليه السلام حتى قيل إنه بيع رغيف واحد بخمسين دينار . [21]

اهتمت الدولة الفاطمية بأمـــور النيل ، حيث أولت اهتماما كبيرا بمواسم ارتفاعات فيضان النيل وانخفاضه، ذلك أن النيل إذا انخفض معناه استحالة ري جميع الأراضي الصالحة للزراعة مما يترتب عليه نقص المحصول، أما الفيضان العالي فكان يؤدي إلى إغراق الأراضي وإتلاف الزرع وهلاك النسل بانتشار الأمراض والأوبئة ودمار البيوت، وفي الحالتين تصبح البلاد عرضة للقحط وكثيرا ما يصحبه الوباء والفناء . [22]

يحدثنا المقريـــزي في هذا الصدد :"ثم وقـــع غلاء في خلافة المستنصر ...وسببه قصر النيل في سنة 444 وليس في المخازن السلطانية شيء من الغلاّت فاشتدت المسبغة . [23]

فقد حصر المقريزي أسباب الأزمة الاقتصادية تمثل في : ضعف السلطنة واختلال أحوال المملكة ، واستيلاء الأمراء على دواليب الدولة ، واتصال الفتن بين الأعراب ، وقصور النيل، وتعدد الصراعات بين الولاة والرعية، هذه عوامل ذات صبغة سياسية واجتماعية واقتصادية إلى جانب العامل الطبيعي قصر النيل. [24]

من هنا يتضح أن المجاعات ما برحت تتعاقب على مصـــر عبر فترات متقاربة من خلافة المستنصر بالله وبطبيعة الحال أدت هده المجاعات إلى سوء الأحوال الاقتصادية، وكانت من العوامل المهمة التي دفعت بني هلال ومن اندرج تحتهم من القبائل إلى الهجرة إلى إفريقية وغيرها من الأماكن، وفي هذا الصدد نجد بعض الباحثين من يستبعد أهمية العوامل الاقتصادية ويستدل على ذلك بالأموال التي منحت لكل مهاجر تحت تساؤل إذا كانت الدولة تعاني فعلا من تلك الأعباء فلماذا تُعطى لهم الأموال في ظل هذه الأزمة؟ [25]

في حين أن تنفيذ مثل هذا المخطط لا يمكن أن يتم دون تقديم هذه الأموال، وكان على المتأخرين أن يشتروا ثمن عبورهم واللحاق بأبناء عمومتهم فاستردت الدولة الفاطمية أضعاف ما دفعت كما سنوضحه لاحقا.

أما وضع الهلاليين فمختلف تماما، فهم لا يسعون إلى نشر مذهب أو إقامة ملك كما يوضحه تاريخهم فقد هاجروا إلى مناطق خصبة في المغرب سيجدون فيها مسكنا جديدا أغنى بكثير، وحياة أيسر وأكثر حرية من تلك التي عرفّوها في ذلك الحين . [26]

هذا وقد لخص إبراهيم إسحاق دوافع القبائل العربية للهجرة في دافعين:

أولهما: اضطرارهم للنزوح والهجرة إما لدافع طبيعي كالجفاف، وإما لدافع سلطاني كالقسر على الفرار، وإما الهروب من ويلات الحروب.

ثانيهما الاستجابة للترغيب في تغيير الديار، وتحسين عواقب النقلة من جانب حكام يستفيدون من انتقالهم، أو استجابة لداعية من إخوان لهم سبقوهم بالنزوح إلى تلك الأراضي، وغدو يغرونهم بالديار الخلية، والظروف الرخية كالمراعي المعشبة والمساقي الجمة ، والحكم الهين اللين . [27]

أرسل الفاطميون هذه القبائل إلى المغرب؛ انتقاما من المعز ودولة صنهاجة الشرقية، فنزحوا إليه لا حبا في نصرة الفاطميين ولا بغضا في صنهاجة ؛ ولكن طلبا للرزق [28].فلم تكن عودة هؤلاء إلى المحطات المختلفة التي هجروا إليها ، ثم هجروا منها واردة لذلك كانت هذه المرحلة فاصلة، فهم إما أن ينتصروا وإما أنهم لا يعودون؛ لأنهم لم يتركوا وراءهم في الحجاز أو في مصر ما يدعوا إلى رجوعهم فقد اصطحبوا معهم المال والمتاع والأهل والأبناء .ومن هنا جاءت خصوصية الهجرة الهلالية المتميزة . [29]

هكذا تجمعت عدة دوافع وتفاوتت في أهميتها وأدت في النهاية إلى الدفع بهذه القبائل إلى المغرب، فمن كان وراء فكرة إرسال هذه القبائل؟ وهل حققت هذه الهجرات الغاية التي أرسلت من أجلها؟

بين الجر جرائي واليا زوري :

السـؤال المطروح : من كان وراء فكرة إرسال الهلاليين إلى المغرب وإفريقية ،هل الوزير أبو القاسم الجرجرائي ([30] ،أم الوزير اليازوري ؟ .[31]

تُشـير كثير من المصادر[32] إلى أن صاحب فكرة إرسال الهلاليين إلى بلاد المغرب هو الـوزير اليازوري؛ وذلك بسبب التقصير المراسمي الذي أتاه المعز في حق اليازوري والمنحدر من أسـرة من الفلاحين ، فبعد أن تولى منصب الوزارة لم يخاطبه المعز بما كان يخاطب به من قبله من الوزراء، حيث كان يكاتب الوزراء بعبده فكاتبه بصنيعته : فعظـم ذلك عليه .

وهناك روايات أخـــرى تنسب ذلك إلى الوزير الجرجرائي استنادا إلى القطيعة مع الفاطميين والدعوة إلى العباسيين وقعت سنة (435/1043م)، على أيام وزارته ، والرأي الرافض لذلك حجته أن تاريخ وفاة هذا الوزير كانت في وقت سابق لهذه الهجرات في سنة 43هـ[33]، على أنه من المهم الإشارة هنا إلى توضيح التضارب بين الكثير من المؤرخين في هذا الأمر.

فعلى سبيل المثال تناولت كثير من المصادر التاريخية رسالة وجهها المعز لوزير المستنصر بالله كتب فيها قطعة بخط يده وتمثل فيها ببيت من الشعر وهو:

وفيك صاحبتُ قوماً لا خلاق لهم لولاك ما كنت أعلم أنهم خلقوا

يشير بذلك لبني عبيد ، فلما وقف الجرجرائي عليها قال :" ألا تعجبون من هـــذا الأمر؟ صبي مغربي بربري , يحب أن يخدع شيخا بغداديا عربيا , واتهمه بأنه إنما فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم إن عثروا على هذه الرموز ، فأقسم لأجيشـــن عليه جيشا ولا تحملن فيه نصباً. [34]

وهناك من يخلط في هذا النص وينسبه لليازوري فإن أخذنا بصحة هذا الرد للوزير فإن من قال بذلك أغفل جانب التحليل التاريخي في إثبات الأمر؛ لأن النص يشير بكل وضوح إلى النسب (شـــيخ عربي بغدادي) وبتتبعنا لترجمة الوزيرين يتضح جليا لدينا أن الجرجرائي بغدادي الأصل.

فالصحيح اعتمادا على تفصيلات ابن خلدون أن الدعوة للعباسيين بدأت سنة 435هـــ /1043م، وأن الخلع والرايات شعارات الإمارة الأفريقية العباسية وصلت عن طريق بيزنطة سنة 437هـ /1045م، في الوقت الذي استمرت فيه المدارة بين الطرفين إلى أن تمت القطيعة النهائية واتخاذ اللون الأسود شعار العباسيين سنة 443هـ/1051م. والصحيح أن تنفيذ أمر كهذا وبمثل هذا الحجم يحتاج إلى وقت طويل وتفكير عميق ، وبذلك يمكن التوفيق بين الروايتين اللتين تنسبان سبب القطيعة إلى كل من الجرجرائي –الذي وافاه الأجل قبل تنفيذ مخططه واليا زوري الذي ثم التنفيذ في أيام وزارته . [35]

المبحث الثاني ـــ سير أحداث الهجرة الهلالية إلى إفريقية الزيريـــــة :

استمرت العلاقات متوترة بين وزير الدولة الفاطمية من ناحية وبين أمير الإمارة الزيرية من ناحية أخرى، ولما كانت الدولة الفاطمية تمر بفترة حرجة من تاريخها كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن الدوافع السياسية والاقتصادية لهذه الهجرات فإنه لم يكن بمقدورها أن تعد جيشا نظاميا توجهه إلى محاربة المعز وإخضاع إفريقية لنفوذ الدولة الفاطمية.

أولا ــ المرحلة الأولـــى للهجرات الهلاليـــــة : أخذ الخليفة المستنصر برأي الوزير اليازوري باصطناع قبائل بني هلال وبني سليم واستقدام مشايخهم وإقطاعهم بلاد إفريقية والمغرب ونقلهم إليها، وكان رأيه أنه إذا تمكّن الهلاليون من القضاء على دولة بني زيري كان ذلك خيرا للدولة الفاطمية ، فإذا حدث العكس وقضى بنو زيـــري على بني هلال كان هذا خلاصا من هذه القبائل المفسدة الناهبة دون أن تخسر الدولة شيئا .[36] وأمر البادية أسهل من صنهاجة الملوك .[37]

وقد بدأ التحضير للزحف الأعرابي بإصلاح ما بين قبيلتي زغبة ورياح، فقد أرسل اليازوري في سنة 441هـ/1049م أحد أمراء الدولة وهو أبو علي الحسن بن علي بن ملهم وأمره أن يصلح ذات بينهما ،ويتحمل ما بينهما من ديات والزيادة في أقطاعاتهما . [38]

وبعد أن فرغ الوزير من مصالحة الرياح وزغبة قدّم لكل واحد منهم فـــروا [39] أو بعيرا [40] ودينارا واحدا وكان المستنصر يدرك مـــدى الضرر الذي يمكن أن يحدثه الهلاليون في المغرب من خـــلال خبرته في التعامل معهم في الصعيد، واكتفى بالترخيص لهم بإجازة النيل وفي ذلك يقول ابن عـــذارى ما نصه : " أباح بنو عبيد للعرب مجاز النيل وكان قبل ذلك ممنوعاً لا يجوزه أحد من العرب ، ثم أمر لكل جائز منهم بدينار فجاز منهم خلق عظيم .من غير أن يأمرهم بشيء ، لعلمه أنهم لا يحتاجون لوصية .[41]

وتحدّث إليهم الوزيـــر قائلا: "قد أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون، وكتب اليازوري إلى المغرب :أما بعد: فقد أنفدنا إليكم خيولاً فحولا وأرسلنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا " .[42]

برقـــــــــة:

وهكذا انتقل بنو هـــلال بجموعهم إلى الغرب واتجهوا نحو برقة سنة 443هـ /1053م، وكان استيطان هذه القبائل في إقليم برقـــة سهلا؛ لأن المعز لدين الله الفاطمي كان سبق وأبـــاد " زناتة " لذلك حين جاء العرب إليها وجـــدوا بلادا كثيرة المراعي خالية من الأهل. [43]

ويصعب تقدير عدد بني هـــلال وبني سليم الذين دخلوا المغرب ، ولكن قدرت أعداد أول موجة من الهجرة الهلالية بخمسين ألف مقاتل، وبعضهم قدرهـــا بزهـــاء أربعمائة ألف مقاتل [44] وبعضهم يرتفـــع بالرقـــم حتى المليون، ويوفّـــق جوستاف لوبون بين هذه الآراء المتناقضة بقوله: "والذي أراه أن الغارة الأولـــى لم تلبث أن

ردفتها غارات كثيرة أخرى "[45] وتلاحقت بهم بعد ذلك جماعات أخـــرى على أمد طويل .

وما لبث الهلاليون أن كتبوا لإخوانهم في مصر يرغبونهم في البلاد ، واستغلت الدولة الفاطمية ذلك ، فبعد أن كانت تدفع لكل مجتاز دينارا، صارت تأخذ منهم ضريبة مقدارها ديناران [46] فأخذ منهم أضعاف ما أعطاه لبني عمهم .

نستخلص مما ذكر أن هذه الهجـــرة قد تمت على دفعتين كانت الأولى بإغراء الفاطميين ، والثانية هجـــرة طوعية أقدم عليها بنو هلال وبنو سليم ليشاركوا إخوانهم وأبناء عمومتهم بالمغرب العربي .

اقتســـم العرب بلاد إفريقية فكان لسليم الشـــرق ولهلال الغرب، وأقامت هيب من سليم وأحلافها رواحة وناصرة وغمرة بأرض برقة ، وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هـــلال إلى إفريقية .[47]

يقول غوستاف لوبـــون - في وصفه للهجرة الهلالية - : " كان الأمر غـــارة أمة لا غارة عسكرية، فقد ظعن أولئك العـــرب رجالاً ونساءً وقِطاعا عن مصر ،...وتمت تلك الهجرة ببطْء ، ولم يملأ العرب شمال إفريقية إلا بالتدريج فقد جاوز العرب طرابلس الغرب بعد أن مكّثوا بها سنتين ، وزحفوا خطوة خطوة وولجوا في الأودية جماعات على مَهْل ... [48]

أما مناطق الصحراء فقد شهدت هي الأخـــرى وصول مجموعات من القبائل الهلالية ، فلقد اندفع بنو سليم إلى صحراء فـــزان جنوبي برقة وطرابلس واستقروا في الأماكن الملائمة للاستقرار بها ، ونجد الإدريسي في القـــرن السادس الهجري يشير إلى أن مناطق فـــزان كانت تحت نفوذ العرب المنتشرين فيها ويبدوا أن هذه المنطقة أصبحت قاعدة لانتشار العرب في الصحراء باتجاه الجنوب والغرب نتيجة عوامل مختلفة بشرية وجغرافية وتجارية ، ومنها تدفق العـــرب إلى مناطق السودان جنوبا وانتشروا حول بحيرة تشاد باتجاه الصحراء غربا. [49]

وقد قـــدّم لنا كُتّـــاب القـــرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري كالإدريسي والتجاني وابن خلدون والقلقشندي معلومات تفصيلية عن استيطان هذه القبائل وتوزعها وتفرعاتها في برقة وطرابلس، فتحدث التجاني عن وجود العرب في برقة وطرابلس فقال :" إنهم أمـــم لا يحصون فيما بين طرابلس وبرقة .[50]

وذكر القلقشـــندي - متحدثا عن قبائل سليم - فقال :"إن منهم في برقـــة إلى الغرب أعداد لا تحصى .[51]

وهذا دليل على أن هذه القبائل هـــي من الكثرة بحيث يصعب تقديرها وحصرها ، نكتفي هنا بهذه الإشارات والتي لا يكفي المقام لتفصيلها في هذا العمل .

ثانيا- العلاقـــات بين الزيريـــن والهلاليين : لم يتوقف بنو هـــلال في ناحية برقة، بل تركوها لمن التحق بهم من بني سليم، وحسب رواية ابن خلدون فقد سارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجـــراد المنتشـــر لا يمرون بشي إلا أتـــو عليه . (52) ، وقد ثم ذلك سنة 443هـ /1052م ، ومن الممكن أن يكون رجال دياب وعوف وزغبة قد التحقوا أول الأمر ببني هلال في إفريقية، إلا أن معظم هذه البطون الثلاثة التابعة لبني سليم قد بقيت في برقة بلا شك .

ولم تتوجـــه القبائل العربية إلى إفريقية مباشرة، وإنما أرسلوا وفدا منهم برئاسة موسى بن يحيي الرياحي لاستطلاع أحوال إفريقية ، وربما معرفة مدى قوة المعز ودولة بني زيري ، وقد أحسن المعز استقبالهم في البداية، إذ لم يكن يعرف نواياهم وما يعتزمون القيام به بالإضافة إلى أنه لم يشعر بالخطر الذي يتهدده ، بل إنه أعجب بمؤنس الرياحي وزوّجـــــه إحدى بناته، وهذا ما جعل مؤنس يخلص في نصحه للمعـــز عندما استشاره في الاستعانة بالعرب الهلالية على أبناء عمومته دولة بني حمّـاد في المغرب الأوسط فنصحه مؤنـــس بأن لا يفعل ذلك لما هم عليه من الكثرة والشراسة واختلاف في الـــرأي وصعوبة قيادتهم . فألح عليه في ذلك ، إلى أن قال له المعز : إنما تريد انفرادك؛ حسدا منك لقومك، وعندما رأهم يخربـــون ويحرقون وينسفون المزارع ساءت نية المعز مع مؤنس واتهمه بإغـــراء العرب على الفساد ، فقبض على أخيه وأهله بالقيروان . (53)

ولما دخلت رياح إفريقية لم تبدأ بالشـــر حتى كان ما كان من قبض المعز على أســـرة أميرها مؤنس، فحمل بســـوء سياسته العرب على تنفيذ ما رســـم لهم الفاطميون من تملك المناطق المعنية لهم .(54)

ومن هنا اشتد غضب مؤنس الرياحي وقال: قدمت النصيحة فحاق الأمر بي، ونسبت الخطيئة لي" فكان أشد إضرارا من القوم وكان على علم بعورات القيروان . فجمع العرب ووضع بين أيديهم بساط .

وحول محاصرة القيروان تدور قصة طريفة تنسب إلى مؤنس الرياحي وهي أنه عندما أظهر له أتباعه الرغبة في الوصول إلى القيروان قال لهم : إن الأمر لا يتحقق دفعة واحدة ودلل لهم ذلك بطريقة علمية مقنعة ،" فأخذ بساط فبسطه ، ثم قال لهم : من يدخل البساط من غير أن يمشي عليه ، فقالوا لا نقدر على ذلك ، فقال : هكذا القيروان،

خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى إلا القيروان فخذوها حينئذ ، فقالوا: إنك شيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولا نقطع أمرا دونك ". [55]

وهكذا تطورت العلاقات بســـرعة من الود إلى العداء، وأصبحت المواجهة الحربية بين الطرفين أمر لا مفر منه لحسم الصراع لصالح احد الطرفين فكانت المواجهة العسكرية .

معركة الحـــــيدران :

على الرغم من اختلاف الروايات التاريخية حول عدد المعارك التي خاضها الزيريـــون ضد القبائل الهلالية وحول تاريخ وقوعها إلا أنها تكاد تتفق على أن موقعة حيدران كانت الفاصلة في الصراع الزيري الهلالي ، وجاءت التسمية باسم جبل حيدران الذي بينه وبين القيروان ثلاثة أيام بين صفاقس وقابس . [56]

إن طبيعة حرب الهلالية لم تكن تعرف المعارك الحاسمة والفاصلة، بل كان اعتمادها على أسلوب الكر والفر في القتال، فرواية ابن الأثير عن أحداث سنة 443هـ تسلسل الأحداث في عدد من المعارك التي وقعت بين المعز والهلالية، مثل يوم العيون – الأضحى – حـــيدران، وإن كانت تفتقر إلى الترتيب الزمني.

عزم المعز بن باديس على المبادرة بمحاربة العرب قبل أن يستفحل خطرهم فجمع المعز قواته واستنجد بابن عمه صاحب القلعة ابن حماد الذي بعث إليه كتيبة من ألف فارس، كذلك استصرخ قبيلة زناتة فقدم إليه المستنصر بن خزرون ألف فارس ،وخرج المعز بجيوشه من صنهاجة وزناتة والبربر والعبيد وبقايا عرب الفتح حتى بلغ عدد جيوشه ثلاثين ألفا، أما في الجانب الأخر من معسكر الهلاليين فقد حوى جماعات من قبائل رياح وزغبة وعدي الذين أقبلوا من جهة فارس مرورا بجبل حيدران تحت قيادة مؤنس الرياحي، والتقى الجمعان في منطقة وعرة اختارها المعز، يقول ابن الأثير "إن العرب لما رأت عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم ،فقال لهم مؤنس بن يحيي :ما هذا يوم فرار فقالوا أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكذاغندات . [57]والمغافر؟ قال: في أعينهم ، فسُمى ذلك اليوم (يوم العين).

وما كادت المعركة تبدأ حتى بدأ عرب الفتح بالتحيز جانبا وانضموا إلى بني جلدتهم ، ويرجع ابن خلدون هذا التخاذل في الجبهة الداخلية إلى ضعف العصبية بقوله: "انخذل بقية عرب الفتح وتحيزوا إلى الهلاليين للعصبية القديمة. [58]

فضلا عن تخاذل الصنهاجيين وفرارهم من ميدان القتال اتفقت صنهاجة على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم ويقتل أكثرهم، ودخل الأمير الزيـــري القيروان

منهزما بعد أن خلف العديد من القتلى من صنهاجة وأخذت العرب الخيل والخيام وما فيها من مال وغيره . (59)

وهكذا انتهت المعركة الأولى بهزيمة المعز وقُتل العديد من جيشه، أما المعز فقد عاد إلى قصره، وأمر الناس بنهب المزروعات الكثيرة في تلك الأراضي إلا أن مصيرها كان الفساد وأكلتها الحيوانات، ثم أمر عساكره ببناء سور حصين حول مدينة القيروان ، وانتهى منه بعد عام 444هـ/1053م تقريبا، وبعد أن اطمأن إلى حصانة القيروان قرر توجيه ضربة للعرب تردهم عن بلاده ،وكانت عند جبل حيدران أيضا ولكن كانت النتيجة هزيمته وفرار جنده أمام ضربات العرب رغم ثباته وشجاعته ،وتراجع الى المنصورية، وقتل الكثير من صنهاجة مما يعد ضربة قاضية لهم ولدولة بني زيري، وتابع العرب مسيرتهم حتى حاصروا مدينة القيروان في عام446هـ/1055م، ثم دخلوها فعم الفساد بها وقتل الكثير. وازدادت حالة ابن باديس سوءا عندما تم حصاره في قصره فاضطر الى طلب الصلح وزوج بناته من بعض أمراء العرب، وأخيرا خرج سراً الى المهدية سنة 449هـ بمساعدة أصهاره، وتابع العرب تقدمهم للمهدية وضيّقوا عليه الحصار، وبقى في المهدية حتى توفى سنة 454هـ/1062م وخلفه في الحكم ابنه تميم 454-501هـ1062 -1180م .(60)

وخلاصة القول إن معركة الحيدران كانت من المعارك الفاصلة بين عرب بني هلال وبين دولة بني زيري، فيها سقطت العاصمة القيروان وأصبح نفود الزيرين يقتصر فقط على مدينة المهدية .

المبحث الثالث ــ تأثيرات الهجرات الهلاليـــــــــــة:

تعتبر الهجرات الهلالية أهم حدث عرفته المغرب في العصور الوسطى، فهي التي أترث أكثر من الفتح الإسلامي تأثيرا طبع المغرب بطابع لم تمحه القرون، والرأي عندي أن هجرة بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب لم تكن حدثا عابرا وإنما تركت الكثير من الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

أولا ـ الأثر السياســـــي : كان لهجرة بني هلال وبني سليم أثار سياسية، وقد بدأت منذ الوهلة الأولى لقدوم العرب، ثم استمرت بعد ذلك باستمرار وجودهم وتغير مواطنهم ،فقد أصبحوا جزءاً من شعوب المغرب يؤثرون في أحداثه، ويتأثرون هم أيضا بأحداثه وينتج عن هذا التفاعل أثار متجددة لها تأثيرها ليس في تاريخ المغرب الإسلامي فقط ، بل في العالم الإسلامي كله .

كانت ليبيا بإقليميها داخلة في خضم الصراعات والاضطرابات التي حدثت في إفريقية في تلك الفترة؛ لأنها كانت جزءاً من إفريقية ولم يقم بنو سليم بتكوين كيانات سياسية في برقة مما زاد من عزلة الإقليم لتمسكهم بطابع حياتهم البدوي, وعاشوا في تجمعات رعوية تقوم على رعي الماشية وزراعة بعض المحاصيل، كما هيمنوا على القبائل العربية التي سبقتهم إلى برقة منذ الفتح الإسلامي وعلى البربر القاطنين بها ،وعلى اليهود المقيمين في بعض الموانئ في طلميثة ودرنة . (61)

إن المغرب الأدنى كانت تجمعه وحدة واحدة ويخضع لحكم الزيريين ،وكان انتقال المعز للمهدية بداية انحلال الدولة الزيرية وتصدع وحدتها السياسية ،وعاشت البلاد في فوضى وعدم استقرار سياسي ،فقد انقسمت الدولة الزيرية إلى إمارات صغيرة حكم الزيريـــون إحداها في المهدية وأحوازها سفاقس وجزيرة جربة، واستقلت سوسة عن المعز بن باديس سنة 445هـ/1053م وامتنعت عن أداء ما عليها من التزامات واستقل بنو الرند في قفصة بعد أن خرج حاكمها على سيده واستعان بالعرب لتوسيع نفوذه في مقابل جزية سنوية وبنو خراسان بتونس وحمو بن مليل البرغواطي بسفاقس الذي استعان أيضا بالعرب من قبائل زغبة ورياح وعدي والأثبج .وكانت قابس تحت إمرة مؤنس بن يحيي المرداسي ،كما أخد العديد من أمراء العرب الهلاليين عدة مدن وقرى وسيطروا عليها، فقد استولى بنو هلال على المناطق الممتدة من قابس إلى المغرب .وبهذا انقسمت بلاد إفريقية والمغرب إلى دول للطوائف على نحو ما حدث في الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية بقرطبة . (62)

بالرغم من هذا فلم يؤسس العرب ملكا ولا دولة وأثروا الضواحي والأرياف على الأمصار ،وهذا يرجع إلى أن هذه القبائل ظلوا بدواً طوال تاريخهم ولم يغيروا طبعهم البدوي أبدا، وفي هذا يقول غوتييه متأثرا في ذلك بما قاله ابن خلدون :" فلم يكن البدوي الظافر ليفكر بتسلم السلطة فهذا لا يهمه أبدا لا بل إنه لا يفقه ما هي السلطة. فلم يكن لهذه القبيلة العربية- كما قال ابن خلدون –أي : رئيس قادر على قيادتها والسيطرة عليها وراح أبناؤها إلى الحقول بعد أن طردوا من المدن واستولوا عليها ليجعلوها مراكز لأعمال السلب والنهب ،ويضيف فقد أشار ابن خلدون لقيام دولة هلالية صغيرة في قابس سكت النقود واستمرت بعض الوقت، ولعل انصراف البدو عن فكرة الدولة يرجع لعدم قدرتهم عليها أو جهلها . (63)

وتعتبر إقامة إمارة بني جامع من النتائج السياسية المهمة لقدوم بني هلال إلى قابس فقد ظلت قابس مستقرا لمؤنس بن يحيي ومقرا للقيادة، وفيما بعد قامت فيها دويلة صغيرة

هي إمارة بني جامع التي حكمت قابس أكثر من ستين عاما حتى سنة 555هـ فتحول هذا النفوذ إلى شكل سياسي متطور، وكان لهم النصيب الأكبر في شتى النواحي السياسية والعمرانية والاقتصادية، وكان نظامهم السياسي هو نظام الإمارات العربية فالأمير يتولى الوزارة بمعاونة حجاب يرتقون لمنصب وزير أو تابع للأمير، كذلك وجدت عندهم وظائف كتابية وبريد ،وسكوا عملة باسمهم . (64)

ويبدو أنه من أهم النتائج التي ترتبت على تقسيم بلاد المغرب على النحو الذي أشرنا إليه أن اهتم الصنهاجيون بشؤون البحر ليعوضوهم عما فقدوه من تقسيم ممتلكات بين القبائل العربية وأصبحت الدولة منذ ذلك الحين بحرية واهتموا بدار صناعة الأساطيل بالمهدية، وأصبح لديهم أسطول كبير .(65)

وعلى الرغم من عبث بني هلال وما نجم عن هجرتهم من أضرار لحقت بإفريقية والمغرب إلا أن دورهم كان بارزا في الدفاع عن إفريقية ومدن الساحل ضد الغارات الصليبية متمثلة في المدن الإيطالية والنورمان ثم هجوم الروم البيزيين على زويلة 480هـ/1087م فأبلى العرب فيها أحسن بلاء ،وأشار إلى ذلك الشاعر البيزي بقوله: ويحارب فرسانهم بسرعة تفوق سرعة الرياح الشرقية ...ممتطيين خيولاً ضامرة يوجهونها بأجسامهم . (66)

ثانياًـ الأثر الاقتصادي: النقطة التي لفتت الانتباه وأسالت كثيراً من الحبر تلك النتائج أو الانعكاسات التي أحدثها الهلاليون بالمنطقة والتي كانت في مجملها وإن لم نقل كلها سلبية ،والمتمثلة في تدمير وحرق و تخريب مدن بأكملها وعلى رأسها القيروان، ولم يسجل لهم إلا فضل واحد وهو تعريب المنطقة .

و من دون شك فإن دخول الهلاليين إلى بلاد المغرب كانت له أثاره وانعكاساته ، ويلاحظ أن الخراب الذي ألحقته هذه القبائل قبل استيطانها والاستقرار بها تضاربت فيه أراء المؤرخين بين مبالغ ومنصف، فيعتبرها بعضهم كارثة من الناحية الاقتصادية حيث يحملون المسؤولية كاملة في ذلك للقبائل العربية من بني هلال وبني سليم .

لقد سجلت لنا نصوص التاريخ مجموعة من الأدوار والتأثيرات السلبية والإيجابية للتواجد العربي في بلاد المغرب الإسلامي، فقد وصف ابن خلدون خراب العرب في برقة أثناء حركة هذه القبائل بقوله "وكانت بها الأمصار المستبحرة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وأمثالها فعادت يبابا ومفاوز كأن لم تكن " .(67)

ويستمر في وصف الدمار الذي ألحقه العرب في عدة مواطن بقوله: "وإفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ عهد المائة الخامسة وتمرسوا بها

لثلاثمائة وخمسين من السنيين ،وقد لحقا بها وعادت بسائطه خرابا كلها ، بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمراناً " .[68]

وترى الباحثة أن هذا الكلام الذي قاله ابن خلدون حول ما فعله العرب فيه مبالغة حيث تناسى فيما يبدو مهاجمة المعز بن باديس لبرقة وإبادة سكانها من زناتة وما يمكن أن ينتج عنه من دمار خاصة إذا كان بدافع الانتقام، وحمل هذه القبائل وحدها ما لحق بها من دمار.

أما مدينة طرابلس التي انتقل إليها عرب بني هلال بعد برقة فكانت كما وصفها الإدريسي :"كثيرة شجر الزيتون والتين وبها فواكه جمة ونخل إلا أن العرب أضربها وبما حولها من ذلك وأجلت أهلها وأقفرت بواديها وغيرت أحوالها وأبادت أشجارها وأغورت مياهها " .[69]

وإذ وقفنا على هذه النصوص فإنه من المهم الإشارة إلى أن كثيراً من المؤرخين العرب من القدامى والمحدثين قد استدلوا بآراء ابن خلدون دون تمحيص أو تدقيق في نظرته السلبية للآثار الاقتصادية المترتبة على هذه الهجرة، ولا يعنى هذا أن الباحثة تحاول تبرئتهم مما نسب إليهم وبقيت شواهده شاهد عيان لفترة طويلة ولكن الحكم عليهم دون تقدير لظروفهم هم أنفسهم من ناحية ولظروف عصرهم وطبيعته من ناحية أخرى إضافة الى كثرة الحروب يُعد نوعاً من التحامل المبالغ فيه؛ لأن طبيعة الظروف التي رافقت مسيرتهم مع الأعداد الهائلة من قطعانهم وإبلهم وكل عائلاتهم يتطلب إمكانيات وأموال قد تكون نفذت أوقلت مما أجبرهم على ذلك النهب والتدمير أثناء مسيرتهم، ومما يجعلنا نقترب من هذا التصور ما أورده الدكتور إحسان عباس من إشارات من هؤلاء المؤرخين وعلى رأسهم ابن خلدون بعد أن أورد النصوص التي وتقّت الخراب والدمار نجده استدل بنصوص أخرى بعد أن عرفت هذه القبائل حياة الاستقرار وسنورد بعضا منها هنا لتوضيح بعض الاستدلالات عما قلنا.

يقول إحسان عباس: "كان كثير من الأعراب خطرا على الحجاج والتجار والرحّالين حتى أضحت كما وصفها العبدري بقوله: لا يسلكها إلا مغامر ...ومعنى ذلك أن سيادة العربان حرمت ليبيا من نشاط اقتصادي كان يقوم به الحجاج والتجار والرحالون، كما حرمتها من حركة علمية كانت تعتمد على مرور العلماء بليبيا. وفي المقابل ذكر" ولما استطعمت بعضهم حياة الاستقرار أنشأوا رباطات للجود سمّوها الزوايا، كانوا يستقبلون فيها المسافرين والأضياف، وقد رأى التجاني فيها زاويتين :الأولى زاوية ولاد سهيل ...أما الزاوية الثانية فقد كانت أضخم من الأولى ..." .[70]

وهذه المقارنة تجعلنا نجد بعض العذر للظروف التي أجبرتهم على هذه الانتهاكات - إن صح التعبير- بالرغم من أن الدلائل على العبث والدمار اللذان صاحبا رحلتهم لا يمكن إنكارهما بأي حال من الأحوال . وقد بالغ الكتّاب في تقدير تلك الأضرار ثم حمّلوا الهلاليين مسؤوليتها، بحيث أحصى عليهم الجغرافيون والمؤرخون حتى اقتلاع عود للوقود أو رفع حجر للأثافي ذلك؛ لأنهم كتبوا لدول بربرية ولم يكن للهلاليين حكومة تطمعهم في أنعامها، ولعلنا نتفق مع الميلي في قوله هذا وتحميل مسؤولية ما حدث لسياسة الدولة الصنهاجية حيث قال: "والمسؤول عما لحق بالمغرب من أضرار هي صنهاجة التي لم تحسن سياسة هؤلاء وجرأتهم عليها بما كان بين دولتيها من تنافس " . (71)

استغل المستشرقون هذه المبالغات التي وردتْ في المصادر العربية محاولين أن يلصقوا بالهلاليين كل نقيصة وحدث سلبي مر به المغرب حتى وإن حدث هذا قبل مجيئهم بزمن، فهذا الهادي روجي في يُهَول من حدث الهجرة الهلالية ويلقي باللائمة على القبائل العربية فيما أصاب إفريقية من أضرار يقول "لقد شهدت نهاية عهد المعز بن باديس (442-454ه/1050-1062م) كارثة سياسية واقتصادية لم يسبق لها مثيل ألا وهي "غزوة "أو "زحفة "بني هلال ...وفي ظرف بضح سنوات أصبحت نكبة الأمير الناكث للعهد أمرا مفروغا منه " .(72)

وهذا جورج مارسيه مستندا على رأيه لِحُكم ابن خلدون يقول: "ولقد ظهرت في هذا المجال الكارثة العربية أكثر وحشية، والصورة المعهودة للخراب نتيجة هجوم الجراد ببلاد المغرب، صوّر لنا بدقة نتائج الغزو في جزء هام الريف البربري " .(73)

ووصف وضع القيروان على أنه أشد ضرراً فقال: "كانت القيروان أكثر المدن تضررا بهذه الأحداث، وبدون شك أكثرها انهيارا فقد ماتت فيها التجارة، وهرب منها سكانها الذين اختنقوا من متطلبات عرب السهل " .(74)

ولكنه أيضا ذكر أن الأمر تغير بعد حياة الاستقرار وأصبح هناك نوعا من التعاون والتعايش يقول: "وبعد قرن من ظهور بني هلال أصبح التعاون بين البدو والمستقرين هو انعكاس (تعويض) طبيعي لخصومتهم الفطرية، وقد كان استدراكا للأذى الذي سبّبه الغزو . (75)

نكتفي بهذا القدر من الإشارات؛ لأن تضارب الآراء حول نتائج هذه الهجرات هي بالكثرة بحيث لا يسع المقام للوقوف عليها كلها، وذلك يستدعي دراسة خاصة، ونحاول أن نتطرق إلى جانب من أثرهم الإيجابي بعد أن استقروا في بلاد المغرب .

من الآثار الإيجابية النافعة لقبائل بني هلال أنها نقلت إلى إفريقية السُّلالات الجديدة من الخيول إلى جانب الخبرة في تربيتها وتنمية الثروة الحيوانية من قابس إلى برقة، ومن برقة إلى قرب الإسكندرية، والمعروف أن برقة وبلاد إفريقية معروفة بالخيول ذات السلالات الأصيلة، كما أخذ الهلاليون عن المغاربة أساليب الزراعة والتجارة التي مهروا فيها فيما بعد، إلى جانب تحسين الزراعة والمحاصيل وإدخال أصناف جديدة، كذلك سيطرت القبائل العربية على طرق التجارة الداخلية، كما توسعوا في احتكار تموين بعض المدن من التمر والملح، وتحكموا في التجارة الخارجية وبخاصة من بلاد السودان ومصر وغيرهما واشتهروا بتصدير الخيول والأغنام والملح وغيرها . (76)

وصفوة القول إن نزوح القبائل الهلالية بشكل جماعي بنسائهم وأطفالهم وكل ما يملكون نتج عنه أضرار بالمزروعات وتدمير للعمران في البداية ولكن بعد أن عرفوا الاستقرار اندمجوا مع السكان شيئا فشيئا فتغيرت حياتهم بدرجات متفاوتة حسب مناطق وجودهم وظروف حياتهم الجديدة .

ثالثاً ـ الأثـــر الاجتماعـــي: من الآثار الإيجابية البارزة للهجرات الهلالية إقامتهم بالمنطقة واختلاطهم بالسكان فقد أحدثت هذه الهجرات في بلاد المغرب تعديلاً جنسيا فحولته شيئا فشيئا إلى شعب تجري في عروقه الدماء العربية فكان تأثير الهلاليين في البربر اجتماعيا جنسيا لغويا.

يقول ابن خلدون: "إن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده " (77)

البربر يعلمون إن ما نتج عن هجوم الهلاليين ليس ناشئا عن عداوة جنسية أو كره لهم فلذلك اختلطوا بهم وأخذوا عنهم عوائد اجتماعية وصفات فاضلة تشبه حياتهم البسيطة أضافوها لأخلاقهم وعوائدهم، ولعل بساطة الحياة الاجتماعية التي تميز بها سكان المغرب والتي تشبه إلى حد كبير بساطة عيش بني هلال التي سهّلت ذوبان المغاربة في العرب وجعلت منهم مجتمعا واحدا يتقاسم البيئة المغربية . (78)

وبدا هؤلاء العرب الذين كونوا منذ قدومهم في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي عنصرا جديدا في سكان المغرب، ولم يمض قرن ونصف على الهجرة الهلالية حتى امتزجت القبائل الهلالية بالعناصر الأصلية امتزاجا متينا بالمصاهرات فنشأ عن ذلك جيلاً جديداً له قوة ونجدة وإقدام وكذلك لغة عربية لا شائبة فيها، وعلاوة على ذلك فإن العرب الهلاليين عند هجرتهم واستقرارهم كانت لديهم صفات الشجاعة والنجدة الحربية والنخوة والأنفة التي اكتسبوها من طبيعة حياتهم البدوية وسكناهم في الصحارى

وخيام الشعر والوبر وابتعادهم ما أمكن عن الاختلاط بالحواضر المتمدنة، وكره النظام والحكومة المركزية مما جعلهم يمتازون ببلاغة القول في الكلام وسرعة البديهة والفروسية النادرة .[79]

وهذا الأثر الاجتماعي عمَّ كل أنحاء المغرب، ففي برقة وطرابلس استقر بنو سليم واندمجوا مع الأهالي في هذه البلاد وامتزجوا بهم في المعايشة والمصاهرة والتجارة حتى أن العديد من قبائل هذه المنطقة اليوم تجري في عروقهم الدماء العربية البربرية، ففي برقة شكَّلت قبائل بني سليم جزءاً من المجتمع في إقليم برقة، واختلطوا بالبربر وأثروا فيهم وتأثروا بهم وهذا ما جعل ابن خلدون عند حديثه عن بني كهلان من بربر هوارة البرنس يصفهم :"...وصاروا في عداد الناجعة من عرب بني سليم في اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الصيف والشتاء. [80]

ويمكن تقسيم بني سليم في أصلهم إلى فرعين رئيسيين هما : الكعوب وأبو الليل

وقد استوطن الكعوب إقليم طرابلس ومنهم المحاميد والنوائل وترهونة وورفلة وأولاد سليمان .

أما أبو الليل فقد تزوج من زناتة واستقر هو وذريته من بعده في إقليم برقة ومن قبائلهم العبيد والعرفاء والعواقير والحرابة الذين من فروعهم أولاد علي .

وبفضل الهجرات العربية إلى ليبيا وإفريقية التي سبقت هجرة بني هلال وبني سليم والتي أعقبتها أصبحت ليبيا عربية في ثقافتها ولغتها وعاداتها وتقاليدها وأساليب معيشتها .[81]

أدخل الهلاليون إلى بلاد المغرب أسلوب حياة غير مألوف لدى سكان البلاد من ذلك على سبيل المثال لا الحصر الخيمة التي لم تكن منتشرة ببلاد المغرب ،كما كان لدى عرب بني هلال أعداد كبيرة من الخيول العربية الأصيلة التي جلبوها معهم في هجرتهم إلى إفريقية وكان من عادة القبائل الهلالية عندما ينفرون لحروبهم ينطلقون إليها بصحبة نسائهم كي يستمدوا من وجودهن الشجاعة فتأثر المجتمع المغربي بهذه العادة ولازالت باقية إلى الآن في الاحتفالات . [82]

وخلاصة القول إن انتشار هذه القبائل في بلاد المغرب وتعدد مواطن استقرارها في جميع الأنحاء وامتزاجها بالسكان وتزاوجهم معهم أدى إلى اندماج العنصر العربي مع العنصر البربري وبالتالي إلى تنوع حياتها الاجتماعية وتبادل المؤثرات فيما بينهم فيما يختص بالعديد من الأمور ذات الطابع البدوي القبلي كالشعر والغناء والزى وغيرها،

وتأثرت القبائل الهلالية بعادات وتقاليد البربر بعد أن نقلوا إلى بلاد المغرب كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم التي ظلت باقية إلى الآن.

رابعاً- الأثر اللغوي والأدبي: إذا كان الفتح الإسلامي لبلاد المغرب قد حوَّله إلى بلد مسلم ،فإن الهجرات الهلالية قد حولته إلى بلد عربي فمن المؤكد والمتفق عليه أن أهم نتائج الهجرات الهلالية على الإطلاق عروبة الألسنة حتى باتت قضية تعريب المغرب مرادفة لبني هلال، فما من مؤلف يتكلم عن هذه الهجرات إلا ويشيد بدورهم في تعريب المغرب .

ونتيجة هذا الامتزاج الذي حدث بين العرب والبربر أدّى الى إيجاد تأثير متبادل بين العنصر العربي والعنصر البربري فالعنصر البربري عمَّق إسلام العنصر العربي ، بينما هذا الأخير نقل إلى الآخر لغته مما مكَّنته من تحصيل ثقافة إسلامية أقل إيجازا وأتم من تلك التي كانت لديهم والتي لم يكن في وسعهم أن يتموها وهم يجهلون اللغة العربية تلك هي النتيجة الأشد وضوحاً . (83)

وقد اختلفت اللغة العربية في المغرب عن لغة المشرق وذلك بحكم الاختلاط بالبربر، فكما تأثر البربر بالعرب وأخذوا لغتهم أثروا أيضا إلى حد ما في العرب، ولكن هناك من ظل محافظا على سلامة لغته مثل أهل برقة وهو ما نوه به الرحالة الذين زاروا هذا الإقليم وفي ذلك يقول العبدري الذي زار المنطقة في حدود سنة (688هـ) قال عنهم :"وعرب برقة اليوم من أفصح العرب رأيناهم وعرب الحجاز أيضا فصحاء ولكن برقة لم يكثر ورود الناس عليهم فلم يختلط كلامهم بغيره وهم إلى الآن على عربيتهم ولم يفسد من كلامهم إلا القليل" (84)

ومهما يكن من شيء فهناك إجماع تام على أنه بفضل استيطان هؤلاء الأعراب أصحاب اللسان المضري الذي حافظوا عليه ببداوتهم في المفردات والتراكيب ووجوه البلاغة وأساليب الخطاب ونتيجة لتأثيرهم في سكان المغرب فقد صار الجميع عربا باللسان فيما عدا قلة من البربر سكان المرتفعات .(85)

كذلك فإن انتقال بني هلال إلى إفريقية والمعارك التي خاضوها للسيطرة على البلاد كل ذلك شكل الأساس التاريخي لمجموعة من الحكايات عن البطولة وهي ملحمة بني هلال المعروفة بسيرة بني هلال، وبطل القصة الشهير أبوزيد الهلالي، وخصمه يسمى خليفة الزناتي أو الزناتي خليفة، وهذه الملحمة تُعد من أشهر آثار الأدب الشعبي العربي إن لم تكن من أكثرها سردا وحكاية وروعة، حيث تمتاز بطابع شعبي يجعلها شيئا فريداً في الأدب العربي كله. ورغم ما ذكر من مكانة اجتماعية للسيرة الهلالية في البيئة

العربية وغيرها، إلا أننا لا نستطيع أن نعتمد عليها تاريخياً أو أن نضعها من ضمن المصادر التاريخية ولكن لا نغفلها كأثر من الآثار الثقافية في بلاد المغرب (86)

وهكذا نستطيع أن نقول بعد هذا الاستعراض بأنه لولا الهلاليون لما صار المغرب على الصورة التي نراها اليوم فلم تكن الغزوة الهلالية شرا خالصاً ولكن كما قيل كانت شرا أتى منه خير كثير .

الخلاصة والخاتمة :

بعد هذا العرض لموضوع البحث يمكن أن نستخلص عددا من النقاط تُمثل أهم النتائج التي توصّل إليها هذا البحث وجاءت على النحو التالي:

1- يعتبر استقلال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية الحدث الفاصل في تاريخ العلاقة بين السنة والشيعة في بلاد المغرب الإسلامي، فقد تحولت دولة بني زيري من دولة شيعية إلى دولة سنية.

2- كانت معركة الحيدران من المعارك الفاصلة بين عرب بني هلال وبني زيري ، وكانت نتيجتها سقوط العاصمة القيروان وأصبح نفوذ الزيريين يقتصر فقط على المهدية وما جاورها.

3- إن نزوح القبائل الهلالية بشكل جماعي نتج عنه أضرار بالمزروعات وتدمير للعمران في البداية ،ولكن بعد أن عرفوا الاستقرار اندمجوا مع السكان شيئا فشيئا وتغيرت حياتهم بدرجات متفاوتة حسب مناطق وجودهم وظروف حياتهم الجديدة .

4- كان من أهم النتائج التي ترتبت على تقسيم بلاد المغرب بين القبائل العربية أن اهتم الصنهاجيون بشؤون البحر؛ ليعوضهم عما فقدوه، وليكون مجالا جديدا لنشاطهم.

5- تعتبر الهجرة الهلالية أهم حدث عرفته بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري، فقد نتج عنه عروبة الألسنة ،حتى باتت قضية تعريب المغرب مرادفة لبني هلال .

6- نتيجة الامتزاج الذي حدث بين العرب والبربر حدث تأثير متبادل بين العنصر العربي والعنصر البربري فالعنصر البربري عمق إسلام العنصر العربي، بينما نقل العنصر العربي لغته إلى الآخر مما مكنته من تحصيل ثقافة إسلامية أقل إيجازا .

7- وأخيرا إن موضوع التواجد العربي وتأثيراته على المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأدنى خاصة وبالأخص ما ذكره ابن خلدون يحتاج إلى دراسة دقيقة وعميقة .

الهوامـــــــــش :

الهجرات الهلالية وتأثيراتها على بلاد المغرب الأدنى (ليبيا وتونس)
في القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي
Semicircular migrations and their effects on the countries of the Near Maghreb ((Libya and Tunisia
In the fifth century AH / eleventh century AD

الأستاذه / هنية صالح خليفة الككلي . جامعة الجفارة ـ كلية التربية الزهراء ـ قسم التاريخ الهاتف 0926130734
hanaaelkkli@yahoo.com

1- إبراهيم أحمد سعيد، أسس الجغرافيا البشرية والاقتصادية، منشورات الكتب والمطبوعات الجامعية، منشورات جامعة حلب ،1997م،ص 77-78.
2- يسري الجوهري ، حافظ مصطفى، جغرافيا السكان، مطابع رويال، الإسكندرية ،1971م ،ص 247.
3- عبد الرحمن حسين العزاوي ، المغرب العربي في العصر الإسلامي ، دار الخليج للنشر والتوزيع ،عمان، ط1 ،2011م، ص24.
4- راضي دغفوس ، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1 ،2005م، ص32 ص 34.
5- حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط2، 2004م ، ص 166.
6- ابن خلدون ، عبد الرحمن ، تاريخ ابن خلدون المسمى المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر 6 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 2000م ص 18 .
7- القرامطة: ترجع جذور القرامطة إلى الأفكار الدينية التي تتعلق بالمهدي المنتظر في العقيدة الشيعية وعقائدهم الدينية إسماعيلية شيعية في مجملها ينسبون إلى حمدان الأشعث ،وهو رجل كان يعيش بسواد الكوفة، ولقب قرمطا؛ لأنه كان قصيرا وكانت رجلاه قصيرتين ،عبد القادر صالح، العقائد والأديان ، دار المعرفة ، بيروت ، 2003م ،ص266.
8- المقريزي ،أحمد بن علي (ت 844ه) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق :جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،مج 1،ط2 ،1996م ،ص 216 .، حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص 167.
9- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ،ص19.
10- عبد الوهاب بن منصور ،قبائل المغرب ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1968م،ص 417.
11- حسين مؤنس ،مرجع سابق ،ص168.
12- عبد الحميد يونس ،الهلالية في التاريـــخ والأدب الشعبـــي ،مطبعة جامعة القاهرة ،1956م ، ص 62.
13- عبد الجواد الصادق الغرياني، الهجرة الهلالية إلى إفريقية الزيرية وآثارها العامة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس ليبيا ،ط1 ،2007م ،ص38.
14- حسين مؤنس ، مرجع سابق ،ص165.
15- النويري ،شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)،نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج 24 ،تحقيق :نجيب الهوريني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1،2004م ،ص 116

16- ابن خلدون ، العبر ،ج6 ،ص 18.
17- الناصري ،أحمد بن خالد ،الاستقصاء لدول المغرب الأقصى ،ج2،تحقيق :جعفر الناصري و محمد الناصري دار الكتاب ،الدار البيضاء،1997م،ص 164.
18- الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ،ترجمة :عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط3 ،1987م، ص 164.
19- ابن تغري بردي، ،أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 847ه)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج5 ،وزارة الثقافة ،مصر ،1963م،ص 50 ،ابن الأثير ،علي بن محمد بن عبد الكريم ،مج 8، تحقيق: محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط1987،1م،ص 295 .النويري، نهاية الأرب ،ص 116.المقريزي ،اتعاظ الحنفاء ،ص216.السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ)،تاريخ الخلفاء ،مكتبة الصفا ،القاهرة ،ط1 ،2005م ،ص306.الناصري ،الاستقصا،ج2 ،ص165.ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ،ص 19 ،ابن غلبون ،أبو عبد الله محمد بن خليل ،تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ،المطبعة السلفية وكتبتها ،القاهرة ،1349،ص 59.ابن أبي دينار ،محمد القيرواني ،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ،مطبعة الدولة التونسية ،ط1 ،1286،ص 82.
20- ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج8 ،ص 286.
21- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5، ص1.
22- عبد الجواد الغرياني ،مرجع سابق ،46.
23- المقريزي ،أحمد بن علي ،ت (844هـ)،إغاثة الأمة بكشف الغمة ،تحقيق: كرم حلمي فرحات ،2007م عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية ، ص 93-94.
24- راضي دغفوس ،دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط ،ص162 .
25- رجعة فضيل الغناي ،هجرة بني سليم وأثرها في إقليم برقة ،مجلة مدارات تاريخية ،العدد الأول ،1،20،المجلد الأول، 2019م ، ص 324.
26- الفرد بل ،الفرق الإسلامية ،ص 219.
27- إبراهيم إسحاق إبراهيم ،هجرات الهلاليين في جزيرة العرب إلى شمال أفريقيا وبلاد السودان ،مركز الملك فيصل للدراسات التاريخية ،1996م، ص 42.
28- مبارك الميلي ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،(د.ت)ص 184.
29- الفرد بل ،الفرق الإسلامية ،ص 219.
30- هو الوزير الأجل الأوحد صفي أمير المؤمنين وخالصته ،أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي ،عراقي الأصل ،ولقبه الجرجرائي نسبة إلى قرية جرجرايا قرية من قرى العراق ،حضر إلى مصر ،والتحق بخدمة الفاطميين .وظل بخدمة الدولة بإخلاص ،وأخذ يترقى في الخدمة حتى ولى الوزارة في عهد الظاهر 418هـ.وسيطر على أمور الدولة سيطرة تامة ،وظل في الوزارة حتى توفى في عهد المستنصر سنة 436هـ.التنويري ،نهاية الأرب ،ج 29،تحقيق :الدكتور نجيب مصطفى فواز والدكتورة حكمت كشلي فواز،ص 136.
31- الحسين بن علي أبو محمد اليازوري ،سمي باليازوري نسبة إلى قرية من قرى فلسطين تسمى يازور ،كان أبوه فلاحا. تاريخ ابن خلدون ,ج6 ،ص 19.
32- النويري ،نهاية الأرب ،ت ،ج 24 ،تحقيق :عبد المجيد ترحيني ،ص116،الاستقصا ،مج2 ص 165،ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،مج8،ص 295.ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ،ص 19.

33- ذكر التجاني أن بعض المصادر تشير إلى أن اليازوري هو الذي رخص للهلاليين باجتياز النيل وأضاف "ولا يبعد أن يكون هذا هو الصحيح " ,لأن الهجرة تمت بعد موت الجر جرائي ،التجاني ،أبو محمد عبد الله بن محمد ،رحلة التجاني ،الدار العربية للكتاب ،ليبيا –تونس ،1981م، ،ص 21-22.

34- ابن أبي دينار ،المؤنس ،ص 83.التجاني ،الرحلة ،ص 19.

35- سعد زغلول عبد الحميد ،تاريخ المغرب العربي ،ج3 (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،(د.ت)، ص 421.

36- حسين مؤنس ،مرجع سابق ،ص 167.

37- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6،ص19.

38- المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،ج2 ،ص 212،ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،مج8،ص 296،نهاية الأرب ،ج24،ص 116.

39- التجاني ،رحلة التجاني ،ص20 .

40- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ، ص20.

41- ابن عذراي ،أحمد بن محمد (ت712ه)،البيان المغْرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب ،مج 1،تحقيق :بشار عواد معروف – محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي ، تونس ،ط2013،1م ، ص 315.

42- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ص20 ،التجاني ،رحلة التجاني ،ص 20 ،ابن الأثير ، الكامل ،مج 8 ص 296،الاستقصا ،مج 2 ،ص 165 ،المقريزي ،اتعاظ الحنفاء ،ص 216 .

43- ابن غلبون ،التذكار ،ص25 ،أحمد مختار عمر ،النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي ،ج3 ،منشورات الجامعة الليبية ،كلية التربية ،1971م،،ص 81.النويري، نهاية الأرب ،ص 117 ،ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج8 ،ص 296،المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ،ص 215 .

44- حسن حسني عبد الوهاب ،بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ،ص 71 ،الحسن الوازن الفاسي ،وصف إفريقية ،ترجمة :محمد حجي ومحمد اخضر ،ج 1، دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،ط2 ,1983م،ص 46.

45- غوستاف لوبون ،حضارة العرب ،ترجمة :عادل زعيتر ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،2012م ،ص 268.

46- رابح بو نار ،المغرب العربي تاريخه وثقافته ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط2 ،1981م ،ص 193،ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ،ص 20 .

47- ابن خلدون ،المصدر نفسه ،ج6 ،ص 20 .

48- غوستاف لوبون ،حضارة العرب ،ص 268-269.

49- صباح إبراهيم الشيخلي ،تطور الوجود العربي في صحاري فزان ما بين القرن الأول والسادس الهجري ،المجلة العربية للعلوم الإنسانية ،العدد 22،المجلد السادس ،1986م،ص 41 -43 .

50- التجاني ،رحلة التجاني ،ص 220.

51- القلقشندي ،أبو العباس أحمد بن علي ،(ت 821هـ/1418م)،قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ،تحقيق :إبراهيم الإبياري ،دار الكتب الإسلامية ،ط2 ،القاهرة ،1982م ، ص 126.

52- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ،ص 20 ،

53- ابن عذاري ،ا لبيان المغرب ،ص 315 ،ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ، ج6 ،ص20.

54- المدني ،تاريخ الجزائر ،ج2 ،ص 184

55- سعد زغلول ،تاريخ المغرب العربي ،ج3،ص 226 ، ،،ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ص 296،،النويري ،نهاية الإرب ،ج24 ،ص 118 ،ابن عذاري ،البيان المغرب ،ص 316.
56- التجاني ،الرحلة ،ص 20 .
57- الكذاغندات :لباس حرب و هو عبارة عن ثوب محشو بالقطن ،ويلبسه الجنود تحت الدروع، السيد أدي شير ،الألفاظ الفارسية المعربة ،دار العرب ،القاهرة ،ط7، 1987-1988م ،ص 125.
58- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ،ص 21 .
59- ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ,296.
60- ابن عذاري ،البيان المغرب ،ص 318 ،ابن أبي دينار ،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ،ج 24،ص 120 ،ابن الأثير ،الكامل ،ص 297 ،298.
61- عبد الفتاح رجب بولبيض ،تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجري ،من 400-925ه،منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ،طرابلس ليبيا ،2009م ،ص 59-60.
62- عبد الجواد الغرياني ،مرجع سابق ،،ص 128 ،منى حسن احمد محمود ،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،دار الثقافة العربية ،القاهرة ،ط2003،1م ،ص 136 .
63- أ.ف .غوتييه ،ماضي شمال أفريقيا ،تعريب :هاشم الحسيني ،الفرجاني ،طرابلس- ليبيا ،1970م،ص 300 ،301.
64- الهام حسين دحروج ،مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية ،حوالي 442-665هـ/1051-1247م، أطروحة دكتوراه غير منشورة ،جامعة القاهرة ،كلية الآداب ،سنة 2000م،ص 58 ،60.
65- منى حسن أحمد ،مرجع سابق ،ص 137 .
66- حسن خضيري أحمد ،علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ط1996،1م ،ص 262،ص 266.
67- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ،ص 135 .
68- ابن خلدون ،عبد الرحمن ،المقدمة ،تحقيق :حامد أحمد الطاهر ،دار الفجر للتراث ،القاهرة ،2004م،ص 196.
69- الشريف الإدريسي ،محمد بن عبد الله ،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،مج 1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،2002م ،ص 297 .
70- ينظر إحسان عباس ،تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري ،دار ليبيا للنشر والتوزيع ،بنغازي ،ط1 ،1967م ، ص 153.
71- الميلي ،مرجع سابق ،ص 186.
72- الهادي روجي إدريس ،الدولة الصنهاجية ،تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م، ترجمة :حمادي الساحلي ،ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1992م،ص 245.
73- جورج مارسيه ،بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق في العصور الوسطى ،ترجمة :محمود عبد الصمد هيكل ،منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1991م،ص 240 .
74- المرجع نفسه ،ص 243.
75- المرجع نفسه ،ص 244.
76- عبد الحميد خالدي ،الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ،(د،ط) ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2003م،ص 175 .
77- ابن خلدون ،المقدمة ،ص 192 .
78- عبد الحميد خالدي ،ص 189

79- عبد الجواد ،مرجع سابق ،ص 135.
80- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج6 ،ص 186 .
81- عمر محمد التومي الشيباني ، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا ، دار الكتب الوطنية ،بنغازي ،ط1، 2001م ،ص 145 .
82- حسن خضيري أحمد مرجع سابق ، ص 267.
83- الفرد بل ،مرجع سابق ،ص 220 ،221.
84- العبدري ،محمد البلنسي (ت 720ه)،الرحلة المغربية ،منشورات بونه للبحوث والدراسات ،الجزائر ،2007م،ص 136 .
85- الميلي ،المرجع السابق ،ص 189.
86- عبد الجواد الغرياني ،مرجع سابق ،ص139،135،حسين مؤنس ،مرجع سابق ،ص 169.